

العنوان:	زى محارب من العصر المملوكي: درع وخوذة
المصدر:	مجلة مركز الدراسات البردية والنقوش
الناشر:	جامعة عين شمس - مركز الدراسات البردية والنقوش
المؤلف الرئيسي:	محمد، تامر مختار
المجلد/العدد:	مج33
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2016
الصفحات:	1 - 21
رقم MD:	778955
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	HumanIndex
مواضيع:	علم الآثار، الملابس، الملابس المماليك المعدنية، الخوذ المعدنية، الدولة المملوكية، العصر المملوكي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/778955

زي محارب من العصر المملوكي "درع وخوذة" زي محارب من العصر المملوكي "درع وخوذة"

نشأت الدولة المملوكية وترعرعت وتوطدت أركانها في ظل النظام الحربي الذي هو من أخص مميزاتها وأبرز صفاتها، ولذلك لا عجب أن جل اهتمامهم قد أنصب على الجيش فعنوا بتزويده بالأسلحة على إختلاف أنواعها، كما عنوا أيضاً بملابسهم الحربية.

ومن أهم وأشهر "ملابس المماليك المعدنية" (إن جاز إستعمال هذا التعبير) "الدرع"، ويبدو أن لبس الدرع في المجتمع الأيوبي والمملوكي، كان امتيازاً خاصاً بالأرستقراطية العسكرية، وقد عرفت من زمن بعيد، ولكنها كثرت في عصر المماليك الأوائل وكذلك من بعدهم خلال عصر المماليك الجراكسة، وأقتصر أستعمالها في الغالب على الدرع الثمينة الخاصة بالأمراء العظام. وقد صنع هذا النوع من الأسلحة في العصر المملوكي في مدينتي دمشق أو القاهرة^(١).

أما الخوذ المعدنية فكانت تشكل جزءاً رئيسياً من زي المحارب التي حرص المحارب علي ارتدائها عبر العصور التاريخية المختلفة، وربما يرجع ذلك إلي كونها السلاح الواقى لأكثر اجزاء الجسم تعرضاً للاصابة ونعي به رأس المحارب، وقد ارتبط وجودها ارتباطاً وثيقاً بالدرع^(٢).

ويحتفظ متحف تاريخ الفنون في فيينا (*Kunst historisches museum*) بمجموعة من ملابس الفرسان وعدة المحاربين من العصور الوسطى، يرجع بعضها الى العصر المملوكي، ولقد وقع اختياري علي أحد هذه الأزياء^(٣) لدراسته إذ لم يسبق دراسته من قبل^(٤).

وطبقاً لسجلات المتحف فإن هذا الزي، المكون من درع وخوذة، كانا ضمن مجموعة فرديناند الثاني، أرشيدوق ولاية تيرول^(٥) بالنمسا (١٥٦٤-١٥٩٥م)، وكان المتحف قد نسبه في السابق إلي "ن كونينغ ز" ملك كيويو بالهند، ثم قامت إدارة المتحف مؤخراً بإعادة تأريخه ونسبته لأحد أمراء المماليك، نظراً لتشابه الخوذة مع خوذة الأمير المملوكي "خاير بك"^(٦) المحفوظة في متحف طوبقابي باستانبول^(٧).

(١) ل. أ. ماير، الملابس المملوكية، ترجمة: صالح الشيتي، مراجعة: عبد الرحمن فهمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٢م، ص ٦٥ - ٦٨.

(٢) حسين عليوة، السلاح المعدني للمحارب المصري في عصر المماليك "دراسة أثرية"، رسالة دكتوراة غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٤، ص ٣٠٧.

(٣) رقم السجل في المتحف HJRK-C-85.

(٤) وافقت إدارة المتحف على النشر العلمي للزي، وزودت الباحث بالصور التوضيحية لبعض أجزائه.

(٥) تيرول في قلب جبال الألب، ولاية هامة في النمسا تقع بغربي البلاد، عاصمتها أنسبروك.

(٦) خاير بك نائب حلب في عهد السلطان الغوري، كانت خيانتته من بين العوامل التي أودت بالامبراطورية المملوكية في مصر والشام وقضت على أستقلالهما لقرن عديدة، طرخان، إبراهيم علي، مصر في عصر دولة المماليك الجراكسة، مكتبة النهضة المصرية، سلسلة الألف كتاب (٢٧٩)، ١٩٦٠م، ص ٤٨.

زي محارب من العصر المملوكي "درع وخوذة"

ويهدف الباحث من خلال هذه الدراسة الى:

- دراسة الزي دراسة أثرية ودراسة العناصر الزخرفية المنفذة عليه، إذ يتميز هذا الزي بثراء زخرفي بالغ، تتوع ما بين زخارف نباتية وكتابية وهندسية.
- ترجيح الفترة الزمنية التي صنع فيها الدرع والخوذة، وذلك من خلال الدراسة المقارنة للعناصر الزخرفية، النباتية والكتابية عليه، مع العناصر الزخرفية على أزياء المحاربين المعاصرة، وعلى أنواع الأسلحة الأخرى.

الدراسة الوصفية

يتكون زي المحارب موضوع الدراسة من أسلحة دفاعية، يستخدمها المحاربون في المعارك الحربية، لوقاية أجسامهم وحمايتهم من التعرض للقتل أو الإصابة بالأسلحة الهجومية. وهذا النوع من الأسلحة كان له أهمية كبيرة عند المحارب، إذ تدفعه غريزة حب البقاء أن يفكر في هذا النوع من الأسلحة ليبعد عن نفسه الخطر^(١).

ويشتمل الزي موضوع الدراسة على درع وخوذة من الحديد المذهب (لوحة ١)، ويتميز بما يحمله من عناصر زخرفية متنوعة، كما يكشف أيضا عن طراز آخر من طرز وأشكال الدروع المعروفة في العصر المملوكي.

أولا: الدرع

الدرع^(٢) من أهم الوسائل الدفاعية الحربية التي استخدمها المحاربون في العصور التاريخية المختلفة. وتتميز بملازمته للمحاربين مع استحالة الاستغناء عنه أثناء القتال^(٣). ومن المعروف أن العرب أستخدموا الدروع قبل الإسلام وبعده، وكانت تشتمل وقتئذ على قميص من الزرد يطلق عليه أسم "درع" يكسو معظم الجسم، والواقع أن الدروع كانت تنتقل من يد الى أخرى لتنتفع بها الأجيال المتتالية، ومن أجل هذا السبب أمكن الاحتفاظ بنماذج منها حتى الآن^(٤).

(١) صفاء عبدالله، تقنية الأسلحة الأيوبية والمملوكية وتطورها (القرن ٥٦ /هـ - ١٢م - ١٠ /هـ /١٦م)، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، ٢٠٠١، ص ٤٤.

(٢) الدرع مفرد دروع وهو لبوس الحديد تذكر وتؤنث، والجمع في القليل: أدرع وأدراع، وفي الكثير دروع، وتصغير دريع، ووظيفة الدرع الحماية من ضربات السيوف وطعنات الرماح والخناجر، وكانت الدروع معروفة عند المصريين القدماء والسومريين والآشوريين، ومما يدل على قدم الدروع ورود ذكرها في القرآن الكريم أكثر من مرة ومنها بسم الله الرحمن الرحيم " ولقد آتينا داوود منا فضلا يا جبال أوبي معه والطير وألنا له الحديد أن اعمل سابقات وقدر في السرد " صدق الله العظيم، والسرد يقصد به مسمار الزرد - وهي حلقات الدرع، ولقد استعمل المسلمون الدروع في معارك الإسلام الأولى، وكان للرسول "صلي الله عليه وسلم" درع يقال لها " ذات الفضول" وأخري تسمى "الصفدية"، وقد أولى الخلفاء الأمويون ومن بعدهم العباسيون الدروع اهتماما، ولكن هذه الصناعة لم تصل أوجها إلا في القرنين ٦-٧هـ / ١٢/١٣م، خلال الحروب الصليبية واستمرت في العصر المملوكي. ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين (ت ٧١١هـ / ١٣١١م)، لسان العرب، دار صادر، المجلد الثامن، ٢٠٠٣، ص ٩٦-٩٧.

(٣) عبد الناصر محمد ياسين، الأسلحة عبر العصور الإسلامية، الكتاب الأول: الأسلحة الدفاعية أو الجنز الواقية (الدروع والتروس) في ضوء المصادر المكتوبة والفنون الإسلامية، دار القاهرة، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٢٩.

(٤) ماير، الملابس المملوكية، ص ٦٥-٦٦.

زي محارب من العصر المملوكي "درع وخوذة"

والدرع عبارة عن ثوب ينسج من زرد الحديد^(١)، يرتديه المقاتل لوقايته من السيوف والسهام^(٢)، وقد يكون الدرع طويلا علي هيئة معطف يغطي معظم جسم المحارب، أو قصيرا علي هيئة قميص يقي النصف العلوي من الجسم ويمتد حتي أسفل الخصر بقليل^(٣). وقد تطورت وتتنوع الدروع وتعددت أسماؤها^(٤).

ويُصنع الدرع بعمل حلقات مستديرة من الحديد تسمى زرد، وتتشكل الحلقات في صفوف رأسية وأفقية متشابكة، ويسمي الدرع الذي تركيب حلقاته داخل حلقة درعا مفردة، وإن نسجت حلقتين داخل حلقتين يسمي درعا مضاعفة لتزداد إحكاما وقوة^(٥).

والدرع موضوع الدراسة^(٦) ينتمي للنوع الأول "المفردة" (الحلقة داخل الحلقة)^(٧)، وقد زود بألواح معدنية دائرية الشكل لتقي الصدر والظهر، وهو عبارة عن قميص طويل يغطي النصف العلوي من جسم المحارب حتي أسفل الخصر، مكون من حلقات الزرد المفردة الصغيرة، المصنوعة من الحديد، المشدودة إلي بعضها، ويتخذ شكل الشبكة، وله أكام طويلة تغطي الأذرع (لوحات ١ - ٢).

ويتوسط وجه وظهر الدرع قرص مستدير كبير الحجم من الحديد المطلي بالذهب، وتحيط بالقرص صفائح من الحديد المطلي بالذهب لحماية الصدر والجانبين ومثلها في الظهر.

وثبتت الأقراص والصفائح الموجودة بالوجه والظهر أعلي الدرع عن طريق وصلها بحلق الزرد، من خلال ثقب حول الأقراص والصفائح الحديدية، وتقف صفوف الحلق عند بداية اتصالها بالصفائح، أي ليس هناك حلق تحت الصفائح، وزخرفت صفائح وأقراص وجه وظهر الدرع بزخارف متنوعة.

الوجه:

يتوسط الوجه قرص معدني مستدير من الحديد المطلي بالذهب (لوحة ١)، وبمركز القرص دائرة يحيطها إطاران زخرفيان:

(١) عبد الرحمن زكي، الجيش المصري في العصر الإسلامي من الفتح إلي معركة المنصورة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٠، ص ٩٣.
(٢) القلقشندي، أبي العباس أحمد (ت ٨٢١هـ / ١٤١٨م)، صبح الأعشي في صناعة الإنشاء، دار الكتب الخديوية، ١٩٢٢، ج ٢، ص ١٣٥.

(٣) حسين عليوة، السلاح المعدني، ص ٣٠٧.

(٤) توجد ثلاثة أنواع من الدروع في العصر المملوكي الأول: الدرع وهو رداء مصنوع من حلقات الزرد، الثاني: الجوشن وهو رداء من حلق ولكن مزود بصفائح معدنية لتقويته، الثالث: القرقل وهو رداء من حلق وصفائح معدنية ولكن مغشي من الداخل بالديباج، رنا سعد الحمودي، حرف وصناعات بلاد الشام في العصر المملوكي، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة اليرموك، ١٩٩٦، ص ٦٦؛ عبد الناصر ياسين، الأسلحة، ص ٥١ : ٥٥؛ حسين عليوة، السلاح المعدني، ص ٣٠٨.

(٥) صفاء عبدالله، تقنية الأسلحة الأيوبية والمملوكية، ص ٤٥.

(٦) يبلغ طول الدرع ١١٠سم، وعرضه ٥٩سم،

http://homepage.univie.ac.at/ebba.koch/16jh/12_ruestung_eng.htm

(٧) أما حلق الزرد فقد صنع من سلوك من حديد يتم تقطيعها إلي قطع صغيرة يصنع من كل قطعة حلقة واحدة بعد دق طرفيها وتقبعا ثم تثبيتهما وتثبيت الطرفين بمسمار برشام معدني دقيق، حسين عليوة، السلاح المعدني، ص ٣١٣.

زي محارب من العصر المملوكي "درع وخوذة"

الإطار الخارجي: يزخره نصوص كتابية، تتضمن البسمة وجزءاً من "آية الكرسي" منفذة بشكل دائري^(١). والكتابة منفذة بخط الثلث المجدول المنتهية قوائمه بأشكال أقواس، زينت من أعلاها وباطنها بورقة نباتية ثلاثية متقوية، وهي من العناصر التي تميز بها الفن المملوكي.

الإطار الثاني: يضيق قطره عن الإطار الخارجي، ويزخره أيضاً نصوص كتابية تتضمن سورة الإخلاص بخط الثلث.

أما الدائرة بوسط القرص فقد زخرفت بعبارة: "الدنيا ساعة فاجعلها طاعة الدنيا ساعة"^(٢)، والكتابة بخط الثلث المنفذ بشكل مشع.

يعلو القرص المعدني لوح معدني مُستعرض (رباعي الشكل) لحماية باقي منطقة الصدر (لوحة ٣)، وهو من الحديد المذهب، تزيينه كتابة تتضمن آيات قرآنية^(٣).

والكتابة بخط الثلث المجدول المنتهية بأشكال قلبية متصلة ببعضها مكونة فيما بينها أشكال أقواس. وتحيط جانبي القرص الدائري اثنتان من الصفائح المعدنية تشبهان الجزء المعدني المستعرض، ويفصل بين هذه الأشكال مثلثان من الصفائح المعدنية. والصفائح الأربع مطلية بالذهب.

وتزين هذه الصفائح زخارف نباتية قوامها أفرع نباتية دقيقة، تخرج منها أوراق ذات فص وفصين، وأوراق نباتية ثلاثية متقوية ووريدات خماسية البتلات، مع أنصاف المراوح النخيلية.

الظهر:

يمائل ظهر الدرع الوجه في تكوينه (لوحة ٢) وفي كتاباته (لوحة ٥)، ولكن أضيفت إليه صفائح معدنية عريضة، أعلى الظهر، تحيط كامل كتفي المحارب لحماية الكتفين والرقبة (لوحة ٤)، وذلك لزيادة الأمان والحماية.

والصفائح من الحديد المذهب، ومزينة بأربعة أشرطة كتابية، الأشرطة الثلاثة الأولى تتضمن البسمة وآية الكرسي:

١- "بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ".

٢- "يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ".

٣- كرسية السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم^(٤) صدق الله".

(١) سورة البقرة، آية ٢٥٥.

(٢) حديث ضعيف.

(٣) سورة الحجر، الآيات ٤٧ - ٤٨.

(٤) سورة البقرة، آية ٢٥٥.

زي محارب من العصر المملوكي "درع وخوذة"

ومن الملاحظ أن الصانع لم يكتب الآية كاملة بل أسقط جزء منها "مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ" وذلك في بداية السطر الثاني.

ويعلو القرص المعدني صفيحة معدنية لحماية باقي منطقة الظهر، والصفيحة مزينة بكتابات تتضمن آيات قرآنية^(١). والكتابة بخط الثلث المجدول المنتهي بأشكال أقواس.

ثانياً: الخوذة:

الخوذة^(٢) من أهم أسلحة الدفاع التي حرص المحارب علي ارتدائها عبر العصور التاريخية المختلفة، وقد استخدمت الخوذ بشكل واسع في العصر المملوكي، وقد وصلتنا مجموعة متنوعة من الخوذات المملوكية، محفوظة بالمتاحف العالمية مختلفة الأشكال والأنواع^(٣)، ونتيجة لتنوعها تعددت أسماؤها ما بين المغفر^(٤) والقونس^(٥) والموائمة^(٦).

والخوذة موضوع الدراسة من النوع المعروف باسم "موائمة"^(٧)، وهي من الحديد المطلي بالذهب، ذات شكل نصف دائري مسلوب إلى أعلى وينتهي بشكل كرة، وبدون قمة مخروطية (لوحة ٦).

يزخرف بدن الخوذة عناصر هندسية، عبارة عن تضييعات طولية بارزة، تغطي بدن الخوذة بالكامل، وتمتد من أسفل القمة العليا حتي بداية الجزء الاسطواني الشكل أسفل الخوذة.

وقد وزعت الكتابة علي الخوذة في منطقتين، إحدها بالجزء العلوي المسلوب داخل إطار عريض، والكتابة بخط الثلث يقرأ منها : "الملكى السلطانى الملكى العالى(ال) مغلطاي(٨) العالمى" (لوحة ٨).

(١) سورة البروج، آيات ٢٠-٢١-٢٢.

(٢) بيضة الحديد وهي قطعة واحدة، وتجمع علي خوذ كغرف، والخوذة لفظة فارسية معربة تطلق علي كل ما يقي الرأس من غطاء مصنوع من المعدن، والخوذة من آلات الحرب تلبس لوقاية الرأس، ولضمان ذلك كانت تخشي بإسفنج ضيق الأجاج؛ عبد الرحمن زكي، السلاح في الاسلام، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥١، ص ٢٣؛ نبيل محمد، خزنة السلاح لمؤلف مجهول، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٨٧، ص ٥٩.

(3) Zaky, A. Rahman, Introduction to The study of Islamic arms and amour, Gladius 2, 1961, pp. 24-26.

(٤) المغفر بكسر الميم وهي آلة من الحديد توضع علي الرأس لوقاية الضرب ونحوه، وله أطرافاً مسدولة علي قفا الملابس وأذنية، وربما جعل منها وقاية لأنفه أيضاً، وقد تكون من زرد أيضاً؛ القلقشندي، صبح الاعشى، ص ١٣٥.

(٥) القونس في اللغة مقدمة الرأس، وقونس البيضة من السلاح مقدمتها، وقيل أعلاها أو السنبك أو الحديدية الطويلة التي كانت تعلق ججمة البيضة، وربما أطلق القونس علي احد انواع الخوذ من باب تعميم اسم الجزء علي الكل؛ حسين عليوة، السلاح المعدني، ص ٣٤٦.

(٦) حسين عليوة، السلاح المعدني، ص ٣٤٧.

(٧) الموائمة من المناسبة أو الموافقة، والموام يعني عظيم الرأس، وكانت اللفظة تطلق علي البيضة التي لا ججمة لها، أي التي لا ترتفع ترتفع فوق الرأس وإنما تتخذ شكل الرأس نفسه كالتأقية مثلاً؛ ابن منظور، لسان العرب، ج ٩، ص ١٩٧.

(٨) معني مغلطاي مهر مغولي، عبدالله عطية، معجم أسماء سلاطين وأمراء المماليك في مصر والشام، دار النيل للنشر، القاهرة، ٢٠١١، ص ١٢١.

زي محارب من العصر المملوكي "درع وخوذة"

أما المنطقة الأخرى فهي منفذة بالجزء الاسطواني أسفل البدن المضلع.

وبعض الألقاب نفذت بالحز داخل أشكال بيضاوية ومستديرة بالتبادل نصها: " العافي - الملكي السلطان - العافي - السلطان - الملكي العافي - الملكي السلطان العافي".

وللخوذة واقيات معدنية كاملة، واحدة للعينين والوجه، وأخرى لوقاية الأنف واثنان للذنين، وأخيرا واقيه لمؤخرة الرقبة، وبالنسبة لواقية العينين والوجه فهي مثبتة في مقدمة الخوذة بستة أزرار.

ويزخرف الواقيه الأمامية للوجه كتابات بخط الثلث تتضمن آية قرآنية^(١) (لوحة ٧) ويكتمل النص الكتابي بعبارة: "يا محمد والذين معه".

أما واقيه الأنف فتتوسط مقدمة الخوذة ومكونة من مستطيل من الحديد ممتد لأعلى الخوذة، ويزينها زخارف نباتية محفورة ومحزوزة، قوامها أفرع نباتية مموجة تخرج منها أوراق نباتية. وينتهي واقي الأنف بقمة تتخذ هيئة رأس حربة مدببة ويزينها بخط الثلث بجزء من الآية الكريمة: "قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ"^(٢) (لوحة ١٠).

وبالنسبة لواقية الأذن فهي مزينة بزخارف نباتية، قوامها رسوم الارابيسك، منفذة بالحز والتذهيب. والواقية الخلفي مثبت في الخوذة بأربع وصلات مرنة، تزخرفها بالخط الكوفي المورق عبارة نصها: "العز الدائم والإقبال" (لوحة ٩).

الدراسة التحليلية

أنتجت مصر والشام في العصر المملوكي كما هائلا من الأسلحة المعدنية تميزت بدقة صناعتها وروعة زخارفها المذهبة خاصة النباتية منها والكتابية^(٣)، وهذه الأسلحة ترجع إلى عهود جميع سلاطين مصر في العصر المملوكي بشقيه، وتحمل أسماء السلاطين أو الأمراء أو القواد. ومن خلال العروض العسكرية التي كان ينظمها المماليك بشكل مستمر يتضح مدى إهتمام سلاطين الدولة المملوكية بالجيش وتزويده بمختلف أنواع الأسلحة، فضلاً عن إنشاء الزرد خانات^(٤) أو السلاح خاناه، ومعناها بيت السلاح. وتحتوى هذه الدار على مختلف أنواع الأسلحة، ويحمل إليها ما يصنع من الأسلحة في مختلف الجهات، ويرأسها أميراً من أمراء منتين يطلق عليه أسم

(١) سورة الصف، آية ١٣.

(٢) ذكر المتحف أن اسم الصانع سجل في هذا المكان بصيغة "عمل على المحارب"، ولكن بعد إعادة القراءة تبين أنها جزء من سورة الإمراء، آية ٨٤.

(3) Aydin, Hilmi, The Arms of the Sultans, Translated Alev Bulut, Isbank Culture publication, Istanbul, 2014, p. 30.

(٤) جمع زردخانه من "زرد" بالعربية و "خانه" بمعنى الدار أو البيت، أي دار الزرد. وهو مصطلح كان يطلق في العصر المملوكي للدلالة على المخزن أو المكان الذي يحفظ فيه السلاح والعتاد الحربي وقد يطلق على السلاح ذاته، وفي العصر المملوكي عرفت الزردخانه السلطانية وهي المخزن المشتمل على سلاح ودروع السلطان الخاصة، حسان حلاق، وآخرون؛ المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٩، ص ١٠٦.

زي محارب من العصر المملوكي 'درع وخوذة'

"أمير سلاح"، يعاونه جماعة عرفوا بأسم "السلاح دارية"، ويشغل فيها جماعة من الصناع يختص كل منهم بنوع من السلاح فيعهد إليه بأمر صنعه ومهمة إصلاحه^(١).

ويتضح من خلال الدراسة استخدام صناع المعادن لطريقتين في صناعة الأسلحة بصفة عامة وأزياء المحاربين بصفة خاصة هما الطرق والصب في القالب.

ومن المعروف أن صناع القاهرة أجادوا منذ العصر الفاطمي عدة طرق في صناعة المنتجات المعدنية المختلفة أهمها الصب والطرق^(٢).

ولقد استخدمت طريقة الطرق^(٣) في صناعة الألواح المعدنية المدعمة للدرع. أما طريقة الصب في القوالب، والتي تتم بإعداد قوالب معينة من المعدن تتخذ نفس الشكل المراد تنفيذه، ثم يصب فيه المعدن فيشكل مثله، وبعد تجمد المعدن تجري عملية الزخرفة علي سطحه^(٤). أما تنفيذ العناصر الزخرفية على الزى فمن الملاحظ أن الصناع قد استخدم طريقة الحرّ في تنفيذ الزخارف النباتية والكتابية على الدرع والخوذة، وهي من الطرق الشائعة في زخرفة المعادن في العصر المملوكي^(٥). كما استخدم الحفر في إبراز التضييعات المنفذة ببدن الخوذة. وبعد تنفيذ العناصر الزخرفية على الدرع والخوذة تم طلاؤها بالذهب^(٦).

أشكال الدروع والخوذ في العصر المملوكي :

يتضح من خلال الدراسات السابقة التي تناولت الدروع المملوكية^(٧)، أن الدروع التي وصلتنا كانت مزودة بمجموعة من الصفائح المعدنية المستطيلة المترصاة بشكل رأسي في الوجه والظهر، من أمثلتها درع محفوظ بالمتحف الوطني بدمشق^(٨) (لوحة ١٤).

(١) على ابراهيم حسن، دراسات في تاريخ الممالك البحرية وفي عصر الناصر محمد بوجه خاص، الطبعة الثانية، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٤٨م، ص ص ٢٦٧-٢٧٧ .

(٢) حسين عبد الرحيم عليوه، المعادن، كتاب القاهرة تاريخها فنونها آثارها، مطابع الأهرام، القاهرة، ١٩٧٠م، ص ٣٧٠.

(٣) طريقة الطرق هي إحدى العمليات الصناعية التي تمر بها التحفة المعدنية حتى تصل لشكلها النهائي، وتتم بوضع ألواح المعدن على السنديل المصنوع من الحديد، ثم يطرق المعدن بمطرقة تشبه "الجاكوش" الصغير، والهدف من عملية الطرق تجميع ذرات المعدن حتى يكتسب مزيدا من الصلابة وإعطاؤه الشكل المراد تنفيذه، حسين عليوه، المعادن ، ص ٣٧١ .

(٤) حسين عليوه ، المعادن ، ص ٣٧١ .

(٥) الحر هو إجراء حرزوز أو نقوش خفيفة غير غائرة على سطح المعدن وفقا لرسم معين يعده الصناع قبل تنفيذه ثم يقوم بنقله على سطح المعدن تمهيدا لحرّه بألة الحرّ الخاصة ذات النهاية المدببة، التي تشبه آلة "الزنية" التي يستعملها الصناع حاليا، حسين عليوه، المعادن، ص ٣٧١ .

(٦) التذهيب إحدى الطرق المستخدمة في زخرفة المعادن المملوكية بصفة عامة والأسلحة بصفة خاصة، وقد استمرت هذه الطريقة في العصر العثماني، ربيع حامد خليفة، الفنون الإسلامية في العصر العثماني، مكتبة زهراء الشرق، ٢٠٠١، ص ١٣٦ .

(٧) ماير، الملابس المملوكية، حسين عليوه، السلاح المعدني، عبد الرؤوف، تقنية الأسلحة الأيوبية والمملوكية.

(٨) رقم الحفظ، ع ر ٦٧٨٨.

زي محارب من العصر المملوكي "درع وخوذة"

ولكن وعلى الرغم من عدم وصول أشكال عدا هذا الشكل للدروع المملوكية، إلا أننا لا نستبعد أن يكون صنّاع المعادن في مصر والشام قد أبدعوا أنواعا وأشكالا أخرى للدروع، متأثرين بفنون وصناعات الأمم الأخرى، مثل الدرع موضوع الدراسة.

فالدرع موضوع الدراسة يختلف عن أشكال الدروع المملوكية التي وصلتنا، لأنه يتميز بتزييده بقرص معدني مستدير كبير الحجم في الوجه والظهر، وهذا النوع من الدروع يرجع أصله إلى أشكال دروع المغول^(١).

ومن المرجح أن صنّاع المعادن، وتحديدًا صنّاع الأسلحة، في العصر المملوكي قد تأثروا بأشكال الأسلحة المغولية، وأنجوا نوعا من الدروع يشبه الدروع المغولية، وهذا ليس بغريب فقد أثر المغول على الممالك بشكل واضح في كافة جوانب الدولة المملوكية السياسية والاجتماعية والعسكرية، وامتد هذا التأثير المغولي إلى الملابس العسكرية التي كان يرتديها قادة وأمراء وجند الجيش المملوكي، كما أخذ الجيش المملوكي العديد من الأسلحة والدروع المغولية بطريقتين: الأولى من خلال الحروب التي خاضها المماليك واستولوا فيها على الأسلحة المغولية، والثانية سلمية من خلال إطلاع المماليك على الأسلحة التي أتى بها المغول القبجاق^(٢) إلى مصر^(٣).

ومن خلال دراسة هذا الدرع وما يحمله من نصوص وكتابات وجدت بكثرة على الأسلحة المملوكية، يتضح أن المحاربين في العصر المملوكي لم يستخدموا الدروع المزودة بالصفائح المعدنية المستطيلة فقط بل من المرجح أنهم استخدموا أيضا الدروع المزودة بالأقراص المعدنية المستديرة، على الرغم من أنه لم يصلنا منها نماذج.

أما الخوذة والتي تمثل جزءا أساسيا من الزي ومطابقة في صناعتها وزخارفها للدرع، فمن خلال الكتابات والألقاب عليها، من المرجح أنها كانت تخص أحد الأمراء الكبار في العصر المملوكي.

ولقد ذكر ماير أنه عند نهاية العصر المملوكي ظهرت خوذة جميلة وقصيرة يطلق عليها اسم "موائمة"، بدون القمة المخروطية "قونس"، ولكنها مزودة بمدارئ لوقاية الأذن والرقبة وكذلك واقية عليا للعينين، وبأنفية (كانت تنتهي غالبا بزهرة الزنبق) وأصبحت هذه الخوذة أكثر شيوعا، وتشاهد بوضوح تام في آخر خوذة مملوكية غير مؤرخة، ونقصد بها خوذة خاير بك، آخر الحكام المماليك لمدينة حلب^(٤).

ولكن من المرجح أن هذا النوع من الخوذ "موائمة" كان معروفا منذ بداية العصر المملوكي، أو تحديدا في منتصف القرن ١٤/٥م، وهو القرن الذي بلغت فيه الفنون المملوكية قمة تألقها وتقدمها، ثم أستمرت صناعتها

(١) وصلتنا مجموعة من الدروع العثمانية والإيرانية المزودة بالصفائح المعدنية المستديرة لحماية الوجه والظهر، وهناك أمثلة لهذا الشكل من الدروع محفوظة بمتحف طوبقاي، والمتحف العسكري باسطنبول، حسين عليوة، السلاح المعدني، ص ٣٢٠.

(٢) مغول القبجاق كانوا يقطنون المنطقة الواقعة بين نهر أرثس والسواحل الجنوبية لبحر قزوين، ويطلق عليهم القبيلة الذهبية، وهذه القبيلة انتشر فيها الإسلام بعد اعتناق زعيمهم بركاي خان الإسلام، مما ترتب عليه زيادة أواصر الصداقة والتقارب بينهم وبين دولة المماليك البحرية، وهذه القبيلة ستكون العنصر الرئيسي للجيش المملوكي وأصبح منهم فيما بعد بعض سلاطين المماليك البحرية مثل الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون، صلاح الدين محمد نوار، الطوائف المغولية في مصر وتأثيراتها العسكرية والسياسية والاجتماعية واللغوية والعمرانية في عصر دولة المماليك البحرية، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٩٦، ص ص ١٣ : ٢٣.

(٣) صلاح الدين محمد نوار، الطوائف المغولية في مصر، ص ٥١.

(٤) ماير، الملابس المملوكية، ص ٧٨.

زي محارب من العصر المملوكي "درع وخوذة"

حتى نهاية العصر المملوكي، وإن صح هذا الأفتراض نرى جليا التشابه الكبير بين الخوذة، موضوع الدراسة، وخوذة "موائمة" الأمير خاير بك والمحفوظة بمتحف طوبقابي باستانبول والتي ترجع إلى الربع الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي^(١).

الزخارف الكتابية

لعبت الزخارف الكتابية دورا مهما في كافة ميادين الفنون الإسلامية سواء علي التحف المنقولة أو الثابتة، وقد بلغ هذا الإبداع مبلغه في العصر المملوكي حيث أدت الزخارف الكتابية دورا بارزا في زخرفة التحف المعدنية المختلفة^(٢). ومن التحف التي حفلت بثراء زخرفي خاصة بالعناصر الكتابية الأسلحة بأنواعها، ومنها الدرع والخوذة موضوع البحث، إذ لا يكاد يخلو جزء من أجزائه من الكتابات.

الكتابات بخط الثلث:

من المعروف أن خط الثلث احتل صدارة الخطوط خلال العصر المملوكي لما يمتاز به من ليونة تتيح للفنان الفرصة في تنفيذ اشكال فنية وزخرفية مختلفة واستمر استحواد خط الثلث على الصدارة في الزخرفة في العصر المملوكي، الذي وصلنا منه عدد كبير من التحف الفنية المزينة بكتابات بخط الثلث^(٣). وقد نفذت غالبية الكتابات على الدرع والخوذة موضوع الدراسة بخط الثلث.

ومن خلال دراسة الكتابات على الدرع والخوذة، نجد الفنان قد أبدع في تطويع الكتابات لتناسب مع المساحة المنفذة عليها الكتابات، واستخدم الفنان عددا من القيم الجمالية التي أعطت طابعا زخرفيا جميلاً، منها الامتداد الرأسى للحروف ذات الهامات الطالعة، مثل حروف الألف واللام والكاف والطاء وغيرها، حيث إن استمرار الحرف ممدودا يجعل العين تتابع هذه المسيرة حتى لحظة التوقف أو التشابك مع حروف أخرى^(٤). وقد استخدم هذا الأسلوب في أغلب الكتابات مثل الآية القرآنية: "ونزعنا ما في صدورهم .."، والتي تظهر فيها المبالغة في إطالة هامات الحروف الطالعة مما أخل بنسب هذه الحروف للحروف الأخرى، ولم يظهر تأثير سلبي لهذا الأسلوب، نتيجة للقيمة الجمالية التي طغت على النص نتيجة التكرار في جميع أجزائه.

وإلى جانب الامتداد الرأسى نجد أن خاصية التركيب والتداخل قد استخدمت بشكل كبير في كتابات الدرع، وهذا التركيب استخدمه الفنان لتنفيذ عدد كبير من الكلمات في مساحة صغيرة، فلجأ إلى تقسيم بعض الكلمات وتنفيذ حروفها فوق بعضها البعض، ويظهر هذا بشكل كبير في بعض الكلمات على الزرد مثل كلمة "صدورهم"، والتي نفذها الفنان على أربعة مستويات من الأسفل إلى الأعلى، ففي المستوى الأول "صد"، والثاني حرف "الواو"، والثالث حرف "راء" وفي المستوى الرابع "هم". ولم يكتف الفنان بهذا بل اضاف مستوى خامسا نفذ فيه كلمة "في"، وقد ادى

(1) http://www.discoverislamicart.org/database_item.php?id=object;EPM;at; Mus22; 18;de

(٢) عبد الحسين عبد الأمير، التحف المعدنية المغولية- دراسة أثرية فنية، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ١٩٧٥، ص ١٥٢.

(٣) مایسة محمود داود، الكتابات العربية علي الآثار الإسلامية منذ القرن الأول حتي أواخر القرن الثاني عشر للهجرة (٧-١٨م)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩١، ص ١٦٠.

(٤) حسن المسعود، الخط العربي، دار نشر فلاماريون -باريس، د. ت، ص ٨٤.

زي محارب من العصر المملوكي "درع وخوذة"

استخدام التركيب إلى تداخل بعض الحروف مع بعضها البعض نتيجة لامتداد الرأسى مع وجود التركيب، ويظهر ذلك بشكل واضح أيضا في كتابات الدرع في عدد من المواضيع المختلفة.

وعندما حاول الفنان تنفيذ هذه القيم الفنية والجمالية لجأ إلى تقديم وتأخير بعض الكلمات عن مواضعها مثل تنفيذ كلمة "فى" قبل كلمة "ما" بالدرع، والآية القرآنية فى الاصل "ونزعنا ما فى .." ولكن الدواعى الفنية للفنان جعلته يقدم الكلمة الأولى عن الثانية.

كما أبدع الفنان فى استخدام الكتابة المشعة، ومن المعروف أنها ظهرت بداية من عصر الناصر محمد بن قلاوون وخلفائه، ثم تضاعف وجودها إلا أنها لم تختف، بل ظلت تستخدم حتى نهاية العصر المملوكي الجركسي^(١). وقد أستخدمت الكتابة المشعة^(٢) فى كتابة بعض العبارات بالقرص الأوسط للدرع "الدنيا ساعة فأجعلها طاعة" (شكل ٢).

كما ظهرت الكتابات المجدولة على الدرع والتي أعطته طابعا وشكلا زخرفيا جميلا، وهي من سمات الزخارف الكتابية فى العصر المملوكي، وقد أستخدمت الزخرفة المجدولة فى زخرفة درع مملوكي محفوظ بالمتحف العسكري باستانبول^(٣).

الخط الكوفى

تفنن الخطاطون فى العصر المملوكى فى زخرفة الخط الكوفى، وأبدعوا فى زخرفته بالفروع النباتية المورقة والمزهرة، والتي ازدادت التفافات وتداخلها وتعقيدها، كما زاد الفنان فى تضفيرها بشكل زخرفى جميل جدا يصعب معها قراءتها أحيانا، ونجح فى الحاق أشكال العناصر المعمارية بقوائم حروفها^(٤).

وقد استخدم الفنان الخط الكوفى المورق على واقي الرقبة الخلفى (لوحة ٩) فى كتابة العبارة الدعائية: "العز الدائم والإقبال"، ونلاحظ مدى التعقيد فى الزخارف التى صاحبت تنفيذ هذه العبارة حتى إن الناظر إليها لأول وهلة تبدو له وكأنها عبارة عن زخارف نباتية من أنصاف مراوح متداخلة، ولكن المدقق يجدها متصلة بحروف الخط الكوفى، فحرف "العين" نفذ على هيئة ورقة نباتية ثلاثية، تشبه إلى حد كبير شرافات المساجد، فى حين ينتهى حرف "الزاي" بتوريق، ولم يكتف الفنان بهذا وإنما زاد فى التعقيد والتداخل بخروج فرع نباتى من النهاية السفلية للحرف ليمتد لأعلى وينتهى بأوراق نباتية بديعة الشكل، ويبدو أن هذا هو الأساس الزخرفى لتنفيذ هذا النص، وهو زخرفة نهاية الحرف نفسه بزخارف التوريق، إلى جانب خروج أفرع نباتية ملتفة تنتهى بأنصاف مراوح، وهذا التكوين الزخرفى ليس وليد العصر المملوكى ولكنه ذو تأثيرات فاطمية.

(1) Saad, Heba, Radiating Inscription on Mamluk Metalwork, Abgadyat, vol 4, 2009, p. 97.

(٢) هناك خمسة أشكال لزخرفة مركز الكتابة المشعة، الأول يتوسط المركز اسم السلطان، الثانى: وريدة متعددة البتلات، الثالث: زهرة اللوتس، الرابع: رنك كتابى مكون من ثلاثة شطوب كتب بالأوسط بعض العبارات مثل عز لمولانا السلطان، النموذج الخامس رنك مكون من ثلاثة شطوب يتوسطه رنك وظيفى مثل رنك الكأس، Saad, Radiating Inscription, p. 98.

(٣) حسين عليوة، السلاح المعدني، لوحة ٨٩.

(٤) علاء الدين عبد العال، النقوش الكتابية الكوفية على العمائر الإسلامية فى مصر منذ بداية العصر الأيوبي وحتى نهاية العصر العثمانى، مخطوط رسالة دكتوراة - منشورة، كلية الاداب - جامعة سوهاج، ٢٠١٠م، ص ٣٧٧.

الكتابات من حيث المضمون

تتوعت مضامين الكتابة على الدرع والخوذة، ويمكن تقسيمها إلى كتابات دينية "آيات قرآنية"، وعبارات دعائية، بالإضافة لبعض الألقاب التي شاع ظهورها على التحف الفنية المملوكية.

أولاً: الآيات القرآنية

زخرف الدرع ببعض الآيات القرآنية التي تركز على وحدانية الله وعدم الشرك به، بالإضافة لحفظ الله ورعايته، مثل آية الكرسي: "اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ"^(١).

ومن المعروف أن آية الكرسي كانت من أكثر الآيات التي زينت بها الأسلحة المملوكية بصفة عامة والدرع بصفة خاصة، وكتبت الآية على الأسلحة المملوكية للتأكيد على أن المقاتل الذي يرتديها يحمل شرف وتاريخ الدولة الإسلامية، والآية التي تعلن عظمة الخالق، وهو ما يعزز شعور المقاتل بالإيمان والقوة في قتل أعداء الله وتعزيز الدين الإسلامي^(٢).

ونجد هذه الآية تزين خوذة مملوكية محفوظة بالمتحف العسكري باستانبول^(٣)، ونجدها مره أخرى تزين رأس سارية خاصة بالأمير طراباي محفوظة بمتحف المتروبوليتان بنيويورك^(٤).

وظهرت هذه الآية على القرص الذي يتوسط وجه وظهر الدرع موضوع الدراسة، وكتبت كاملة على الوجه في حين أنتهت الآية على قرص الظهر عند "يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ".

كما وجدت هذه الآية تزخرف أعلى الصفيحة المعدنية المحيطة للكف على ظهر الدرع، ونفشت في ثلاثة أسطر، ولكن من الملاحظ أن الصانع في هذا الموضع قد أسقط أو نسي كتابة جزءاً من الآية "من ذا الذي يشفع عنده" وذلك في بداية السطر الثاني (لوحة ٤).

ومن الآيات القرآنية التي استخدمت في تزيين الدرع بعض الآيات القرآنية من سورة الحجر: "وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ، لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ" (آيات ٤٧-٤٨)، وهذه الآيات تحث على النصر أو الشهادة، وتبشر بالجنة والأبدية.

(١) تعد هذه الآية من أعظم آيات القرآن الكريم فقد روي الأئمة عن أبي كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " يا أبا المنذر أتدري أي آية من كتاب الله معك أعظم؟ قال : قلت ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾. وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أي آية أنزل الله عليك من القرآن أعظم؟ فقال: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾. وقال ابن عباس: "أشرف آية في القرآن آية الكرسي"، فهيم فتحي إبراهيم، الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والأدعية الدينية بالعمائر الدينية الملجوقية في الأناضول، بحث منشور بمؤتمر الإسهامات الحضارية، ٢٠١٠، ص ص ٢٦٥-٢٦٦.

(٢) شاكر بن عواض، القيم الفنية والجمالية للمشغولات المعدنية في العصر المملوكي كمدخل لإثراء أشغال المعادن في مجال التربية الفنية، بحث تكميلي للحصول علي الماجستير، كلية التربية، قسم التربية الفنية، جامعة أم القرى، ٢٠١٣، ص ٢٢٧.

(٣) رقم السجل، ٧٩٤٩، عليوة، السلاح المعدني، ص ٣٦٢.

(٤) رقم الحفظ، 35-36-1965.

زي محارب من العصر المملوكي "درع وخوذة"

ووجدت هذه الآيات تزخرف اللوح المعدني أعلى القرص الأمامي للدرع (لوحة ٣).

كما ظهرت آيات قرآنية من سورة البروج: "وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ، بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ، فِي نَوْحٍ مَحْفُوظٍ" صدق الله العظيم (الآيات ٢٠-٢١-٢٢)، وهذه الآيات تحث على الجهاد وتؤكد دعم الله وحفظه للدين الإسلامي والمسلمين في مواجهة الكفرة المشركين ويوضح أن الله محيط بالكافرين ولكن لايشعرون وهو حافظ لدينه. وهذه الآيات نادرة، وتظهر لأول مرة على الأسلحة المملوكية، أعلى القرص المعدني بظهر الدرع (لوحة ٤).

ومن أكثر الآيات التي وردت على الأسلحة المملوكية بشكل عام وعلي الخوذة موضوع الدراسة بشكل خاص آية قرآنية من سورة الصف: "تَصْرَ مِنْ اللَّهِ وَفَتْحَ قَرِيبٍ وَيُشِرُ الْمُؤْمِنِينَ" وقد ظهرت أعلى واقي العينين، والآية تبلغ الرسول بنصر الله وتطالبه بتبشير المؤمنين بالنصر، وهذه الآية ظهرت بكثرة على الأسلحة المملوكية ومن أمثلة ذلك خوذة باسم الناصر محمد بالمتحف الملكي للسلاح في بروكسل، وطبر باسم السلطان محمد بن قايتباي محفوظ بمتحف الفنون التطبيقية النمساوية في فيينا^(١).

وظهرت سورة الإخلاص حول مركز القرص المعدني بوجهي الدرع "قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ صدق الله"، والسورة الكريمة للدلالة على الإخلاص التام لله ذي الجلال والعظمة، الواحد الذي لا ولد له، والكامل في صفاته الذي افتقرت إليه جميع مخلوقاته.

كما كتبت الآية القرآنية "قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ"^(٢) على الخوذة في أعلى واقي الأنف، وقد ظهرت هذه الآية على ترس من العصر المملوكي محفوظ بإحدى المجموعات الخاصة^(٣) وقد زينت مركز الترس (لوحة ١١).

ثانيا: العبارات الدعائية:

تضمنت الكتابات على الدرع بعض العبارات الدعائية مثل "الدنيا ساعة فاجعلها طاعة" وذلك للحث على طاعة الله. كما ظهرت العبارة الدعائية "العز الدائم والإقبال" على الواقي الخلفي للخوذة.

وهذه العبارات وجدت تزخرف معظم التحف التطبيقية الفنية التي ترجع للعصر المملوكي، فنجدها تزخرف سيف مملوكي محفوظ بمتحف طوبقابي^(٤).

ثالثا: الألقاب:

حرص الخلفاء والسلاطين والأمراء منذ بداية العصر الإسلامي على حمل ألقاب توضح مكانتهم داخل الدولة الإسلامية، واستمر هذا الأمر في الازدياد حتى وصلت الألقاب في العصر المملوكي إلى عدد لا يحصى، وتسجل قبل وبعد أسماء السلاطين أو الأمراء.

(١) زكي حسن، أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية، دار الرائد العربي، بيروت، ١٩٨١، لوحة ٤٧.

(٢) سورة الإسراء، آية ٨٤.

(3) <https://histoireislamique.wordpress.com>

(٤) رقم الحفظ، (S.T.J (1/213

زي محارب من العصر المملوكي "درع وخوذة"

وقد ظهرت بعض الألقاب تزين جوانب وقمة الخوذة، ومن هذه الألقاب: "ملكى^(١)، السلطاني^(٢)، العافي، العالي^(٣)، العالمي^(٤)". ومن الملاحظ أن هذه الألقاب أضيفت إليها ياء النسبة.

الزخارف النباتية

استخدم الفنانون المسلمون الزخارف النباتية في زخرفة منتجاتهم الفنية في العصور الإسلامية المختلفة، واعتبرت الزخارف النباتية من البداية من أهم عناصر الزخرفة الإسلامية، وكان الفنان المسلم يدرك بطبيعة حسه مصادر الجمال في النباتات والأزهار ولذلك فإنه استطاع أن يصل إلي مرتبة الكمال تقريبا بصورة تدريجية في تناوله لهذه الزخارف^(٥).

وقد ظهرت الزخارف النباتية علي الدرع والخوذة موضوع البحث، كأرضية للكتابات بالإضافة لاستخدامها في زخرفة الأطر والمناطق الأخرى.

رسوم الأرابيسك

أخرج الفنان المسلم نوعا جديدا من الزخرفة الموحّرة ، وإن كان لم يبتكر وحدات زخرفية بل رسم الأزهار والأشجار والفروع والأغصان والأوراق والسيقان والطيور والحيوانات بعد أن يحورها تحويراً كادت تفقد معه صورتها القديمة، ولكنها وإن بعدت عن هذه الصور فلا يزال لها جمال فني يدل على رقي مبدعها^(٦).

(١) الملكي بفتح اللام من ألقاب الملك وألقاب أتباعه المنسوبين إليه من الأمراء والوزراء ومن في معانهم، وهو نسبة إلى الملك بكسر اللام، والنسبة إذا كانت للملك نفسه فهي للمبالغة، وإن كانت في حق أحد من أتباعه كقوله في حق بعض الأمراء ونحوهم الملكي الفلاني فالنسبة فيه على حقيقة النسب، الفلقتندي: صبح الأعشى، ج ٦، ص ٣٠.

(٢) اسم خاص في العرف العام بالملوك، والسلطان لقب الذي يحكم في ولايته حكم الملوك، والياء لألقاب أتباعه المنسوبين إليه من الأمراء والوزراء ومن في معانهم، وهو نسبة إلى السلطان بكسر الياء، والنسبة إذا كانت للسلطان نفسه فهي للمبالغة، وإن كانت في حق أحد من أتباعه كقوله في حق بعض الأمراء ونحوهم السلطاني الفلاني، فالنسبة فيه على حقيقة النسب، مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص ٢٥٦.

(٣) من الألقاب الفروع في عصر المماليك. وكان من الجائز أن يصف الألقاب الأصول جميعها، وكانت رتبة أعلي من "السامي" الذي كان يشترك معه في وصف المجلس، وربما سبق بلقب تابع آخر مثل "الأشرف"، "الكريم"، فيقال "المقر الكريم العالي"، وربما اقتصر عليه وحده فيقال "المقام العالي"، والعالي أيضا من الألقاب التي تجري مجرى التشريف، وكان يوصف به بعض الأشياء علي سبيل التشريف: فكان في عصر المماليك البحرية يطلق علي متعلقات النائب الكافل، أو النواب بالممالك الشامية، في حين كان "الشريف" لقباً علي متعلقات السلطان، وفي حالة التوقيع عن النواب بالممالك الشامية كان الأمر يوصف "بالعالي" لا "بالشريف" فيقال "رسم بالأمر العالي المولوي السلطاني الملكي الفلاني"، حسن الباشا، الإلقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٩، ص ص ٣٩٠-٣٩١.

(٤) من ألقاب العلماء، إلا أنه كان في الحقيقة من الألقاب المشتركة في الإصطلاح بين رجال الحرب والإدارة. وكان من الألقاب التي يعز بها الملوك، وكان في هذه الحالة يردف غالبا "بالعامل" و "بالعادل". وفي عصر المماليك كان اللقب يأتي غالبا ضمن ألقاب السلاطين مجردا من ياء النسب، أما في حالة غيرهم من رجال الدولة فكان يرد بصيغة النسبة، حسن الباشا، الألقاب الإسلامية، ص ٣٩٠.

(٥) ربيع حامد، الفنون الإسلامية، ص ٢٨١.

(٦) محمد عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية في العصر العثماني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٤، ص ١٢.

زي محارب من العصر المملوكي "درع وخوذة"

وكانت رسوم الأرابيسك من أشهر وأكثر أنواع الزخارف النباتية استعمالاً في الفنون الإسلامية، ويرى هرتزفيلد^(١) أنها تتكون من عناصر زخرفية نباتية وهندسية وكتابية وأيضاً من أشكال الكائنات الحية، ولا تقتصر على الوحدات والعناصر النباتية فقط.

وقد استخدمت رسوم الأرابيسك في زخرفة واقبات الأذن في خوذة المحارب، وفي زخرفة الصفائح المعدنية المضافة للدرع (لوحة ٥).

الأوراق النباتية

استخدمت الأوراق النباتية المتعددة الفصوص في الزخرفة، ومن الملاحظ أن الورقة النباتية الثلاثية^(٢) كانت من أكثر العناصر الزخرفية ظهوراً على التحف المملوكية، بل أصبحت من سمات الزخرفة في العصر المملوكي بصفة عامة.

وقد ظهرت الأوراق على الدرع والخوذة بشكلين مختلفين، فهي إما متداخلة مع الكتابات المنفذة على الدرع أو متداخلة مع رسوم الأرابيسك والأفرع الملتفة^(٣).

الشكل الأول: ظهرت فيه الورقة النباتية الثلاثية المثقوبة متداخلة مع الكتابات في قرص الزرد، وكانت تزين الكتابات من أعلى، وفي بعض الأحيان كانت تملأ المناطق الفارغة بين الحروف، وقد ظهر الفص العلوي في الورقة الثلاثية على شكل الرمح، كما ظهرت الورقة النباتية البسيطة تتوج الكتابات المنفذة على الصفائح المدعمة للدرع في الوجه والظهر (لوحة ٢).

الشكل الثاني: ظهرت فيه الورقة النباتية الثلاثية متداخلة مع رسوم الأرابيسك، ونجدها تظهر في زخرفة الصفائح المعدنية الصغيرة المحيطة لقرص الدرع في الوجه والظهر، ونجدها متداخلة مع رسوم الأرابيسك، وقد ظهر الفص العلوي في الورقة الثلاثية على شكل الرمح.

التأريخ:

من المرجح أن الدرع والخوذة كانتا من بين الغنائم التي استولى عليها العثمانيون بعد استيلائهم على الشام ومصر، فمن المعروف أن السلطان العثماني سليم الأول بعد انتصاره على المماليك، حمل معه إلى بلاده مجموعة من الأسلحة والدرع المملوكية، ظلت هذه الأسلحة محفوظة بطريقة ممتازة للغاية بين مجموعة كنوز متحف طوب

(1) Hertzfeld, Arapesque, Encycl of Islam , PP. 363- 67.

(٢) من المعروف أن الورقة النباتية الثلاثية سمة من سمات الفن الإسلامي، وبداية ظهورها كان في طراز سامراء الثاني والثالث، نها أبو بكر، الدوي والمحابر، ص ٢٠٥.

(٣) نها أبو بكر أحمد، الدوي والمحابر في مصر منذ عصر المماليك دراسة أثرية- فنية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ٢٠٠٤، ص ٢٠٥.

زي محارب من العصر المملوكي "درع وخوذة"

قابي^(١)، كما حفظت مجموعة من هذه الأسلحة بمخازن كنيسة سانت ايريني "St. Irene" باستانبول^(٢)، وقد وجدت بعض هذه القطع طريقها إلى الخارج وأصبحت من بين مجموعات أوروبية وأمريكية خاصة وعامة^(٣).

والدرع والخوذة، موضوع الدراسة، كانا وفقا لسجلات المتحف، في حوزة الأرشيدوق النمساوي فرديناند الثاني التيرولي ضمن مجموعته الفنية، غالبا في النصف الثاني من القرن ١٠هـ / ١٦م (١٥٦٤-١٥٩٥م)، وذلك قبل انتقال ملكيته إلى متحف تاريخ الفنون بفيينا.

ولقد أرخ المتحف الدرع والخوذة بالربع الأول من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، نظرا لتشابه شكل الخوذة مع خوذة الأمير خاير بك.

ولكن من المرجح أنهما يرجعان إلى ما قبل القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، فالكاتب علي الخوذة تضمنت كلمة ندر وجودها على التحف المملوكية هي "العافي" وأسم يمكن أن يقرأ "مغلطاي" (لوحة ٨).

وان صحت قراءة الأسم فإن مغلطاي كان أسما لأمرء عدة حملوا هذا الاسم، منهم أميران شهيران عاشا في القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي، أحدهم الأمير الوزير مغلطاي الجمالي أحد أشهر أمرء الناصر

(١) بعد دخول العثمانيين حلب في شعبان ٩٢٢هـ استولى السلطان سليم علي محتويات قلعتها من أموال وأسلحة وملابس. وبعد دخول السلطان سليم مصر استولى علي خزائن قلعة قايتباي بالاسكندرية والتي وجدت فيها ملابس سلاطين الدولة المملوكية وعدتهم وأسلحتهم وآلاتهم الحربية منها عشرون ألف سيف مصري في غاية الإبداع وعشرة آلاف من الزرود وعشرون ألفا من الأقواس الدمشقية وأربعون ألفا من التروس الحلبية والدمشقية وثلاثون ألفا من المغافر وغيرها من الأسلحة، وقد نقلت كلها إلى سفن الأسطول الذي سافر بها إسلامبول، أولياجلبي، بن درويش محمد ظلي (ت ١٠٥٨هـ / ١٦٤٨م)، سياحتنامه، ترجمة عبد الوهاب عزام، دار الكتب والوثائق القومية، ٢٠٠٩، ص ١٨٥-١٨٦.

(٢) تقع كنيسة آيا (سانت) ايريني إلى يسار الداخل من الباب السلطاني لقصر طوبقابي ويرجع تاريخ بنائها إلى القرن الرابع الميلادي، وعندما استولى السلطان محمد الفاتح ٨٥٥: ٨٥٦هـ / ١٤٥١: ١٤٨١ علي استانبول لم يتعرض لهذة الكنيسة للهدم، وحولها إلى مستودع للأسلحة السلطاني، واستمرت كذلك حتي نهاية الإمبراطورية العثمانية، وحولت فيما بعد إلي متحف حربي، شيماء محمد السايح، الكتابات الأثرية بابنية قصر طوبقابي بإستانبول "دراسة فنية أثرية"، رسالة دكتوراة، غير منشورة، كلية الآداب، قسم الآثار والحضارة، جامعة حلوان، ٢٠١٣، ص ١٩.

(٣) ماير، الملابس المملوكية، ص ٦٥.

زي محارب من العصر المملوكي "درع وخوذة"

محمد^(١) صاحب المدرسة (الخانقاه) الجمالية قريبا من درب ملوخيا بالقاهرة بالقرب من رحبة باب العيد^(٢)، أما الثاني فهو من أمراء السلطان حسن المشهورين^(٣).

ومن المحتمل أن الخوذة ترجع للأول، الأمير مغلطاي الجمالي الأستاذار، أما لفظ العافي فقد ندر وجوده بين الألفاظ الواردة على العمائر أو الفنون في العصر المملوكي ويمكن إطلاقه على هذا الأمير، فمن المعروف أن الأمير مغلطاي أصابه خلال توليه الوزارة علة، ومرض مرضا شديدا توفي به، وكما ذكرت المصادر فإنه لما "مرض وتعلل ظمئى الى العافية"^(٤)، أي تأقت نفسه لطلب الشفاء ولعله سجله كدعاء على التحف التي صنعت له، خاصة وأنه ظل مريضا به حتى توفاه الله .

ومن المعروف أن مغلطاي ظل أستاذارا حتى وفاته، فقد ذكر ابن تغردى: أنه في أول المحرم سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة قدم مبشر الحاج، وأخبر بسلامة الحاج وأن الأمير مغلطاي الجمالي الأستاذار على خطر، فعين السلطان عوضه في الأستاذارية الأمير أقبغا عبد الواحد، ومات مغلطاي في العقبة^(٥).

ومن الممكن الربط بين ما آل اليه حال الأمير مغلطاي بعد المرض وبين كلمة "العافي" التي ظهرت على الخوذة فلعل الصانع سجل كلمة (العافي) كدعاء لصاحبه ورجاء من الله ليمن بالشفاء على الامير .

وإذا صح ذلك فمن المرجح نسبة الخوذة والدرع لهذا الأمير وأنها من صناعة مصر أو الشام في القرن الثامن الهجرى/ الرابع عشر الميلادى.

(١) الأمير الوزير علاء الدين الناصري الجمالي، المعروف أولاً بمغلطاي خُرُزُ، بضم الخاء المعجمة والراء وبعدها زاي، كان من أكبر مماليك السلطان الملك الناصر محمد، أمير مئة مقدم ألف. ولاة السلطان الوزارة في رمضان سنة أربع وعشرين وسبع مئة، كان أستاذارا وتولى الوزارة مضافة الى ذلك، ولم يجتمع ذلك قبله لغيره، وكان خيرا كريما عديم الشر حليما، لا يستكثر شيئا على أحد، وعمر دارا ومدرسة وترية وذلك بدرب الملوخية داخل القاهرة. إلا أنه في الآخر تزلزلت عند السلطان مكانته، وخانته إعانته فمرض وتعلل وظمئى الى العافية ، وتوجه الى الحجاز، وتوفي عائدا بعقبة ايلات في المحرم سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة، ولم يزل على الوزارة الى أن مات رحمه الله تعالى، النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ - ١٣٣٢م)، نهاية الإرب في فنون الأدب، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤، الجزء الثالث والثلاثون، ص ٥٤. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك (ت ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق علي أبو زيد وآخرون، دار الفكر المعاصر، بيروت، ١٩٩٧، ج ٥، ص ٤٣١ - ٤٣٢. ابن كثير، أبي الفداء إسماعيل (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م)، النهاية والبداية، دار بن كثير للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، دمشق، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، ج ١٦، ص ١٧٤.

(٢) ابن تغرى بردى، جمال الدين ابي المحاسن (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ١٩٩٢، ج ٩، ص ٧٦.

(٣) الأمير سيف الدين مغلطاي أمير آخور السلطان الملك الناصر، كان من أعيان الملك الناصر محمد ابن قلاوون وخاصيته، تولى رأس نوبة ثم صار أمير شكار ثم ولى الأمير آخورية الكبرى، وخلعه السلطان الملك الصالح صالح بعد توليه باربعة أيام في ١٨ جمادى الاخر سنة ٧٥٢هـ، وأعتقله، وأفرج عنه عام ٧٥٥هـ وأقام في طرابلس ومرض مرضا شديدا فطلب أن يذهب إلي دمشق ليتداوي بها فوافق الملك ، ومات مغلطاي في دمشق عام ٧٥٥هـ، الصفدي، أعيان العصر ، ج ٥، ص ٤٣٩ - ٤٤٢. ابن كثير، النهاية والبداية، ج ١٦، ص ٣٦٠.

(٤) الصفدي، أعيان العصر، ج ٥، ص ٤٣٢.

(٥) ابن تغرى بردى، النجوم الزاهرة، ج ٩، ص ٩٨ .

النتائج

كانت الأسلحة المعدنية أكثر أنواع الأسلحة أهمية؛ لأنها كانت السلاح الشخصي المصاحب لكل محارب، ولا تقل الأسلحة المعدنية أهمية عن المنتجات المعدنية الأخرى من عصر المماليك من الناحيتين الأثرية والفنية. فقد وصلت من هذا العصر مجموعة كبيرة من الأسلحة صنعت لسلطين وأمراء الدولة المملوكية، وتميزت هذه الأسلحة بزخارفها وكتابتها فضلا عن دقة صناعتها مما جعلها أقرب إلى التحف الفنية منها إلى أدوات القتال.

وقد تناولت هذه الدراسة درع وخوذة، محفوظان بمتحف تاريخ الفنون في فيينا صنع غالبا لأحد أمراء العصر المملوكي الكبار وينشر لأول مرة.

ويعد دراسة هذا الزي وما عليه من كتابات وعناصر زخرفية نستنتج ما يلي:

- أن الدرع موضوع الدراسة من الدروع النادرة التي تتسب للعصر المملوكي، فهو يختلف عن أشكال الدروع المملوكية التي وصلتنا، لأنه زود بقرص معدني مستدير كبير الحجم في الوجه والظهر، ونستنتج من ذلك أن صناعات المعادن وتحديدًا صناعات الأسلحة في العصر المملوكي قد أنتجت أنواعا مختلفة من الدروع علي الرغم من عدم وصول امثلة لها.

- أن الأسلحة المملوكية تأثرت بالأسلحة المغولية، صناعةً وطرزاً، ويظهر هذا من خلال الدرع موضوع البحث، وذلك ليس بغريب فقد أثر المغول على المماليك بشكل واضح في كافة المجالات.

- من خلال الدراسة أرجح أن الدرع والخوذة يرجعان إلي القرن ١٤/هـ، وإن صح ذلك فإن الخوذة من نوع "الموائمة"، قد ظهرت في فترة مبكرة من العصر المملوكي وأستمرت حتى نهايته.

- أدت الكتابات دوراً مهماً في زخرفة الأسلحة المملوكية، وتميزت أنواع الخطوط التي استخدمها الفنان في الزخرفة بالتنوع، خاصة خط الثلث الذي استخدم بصفة أساسية في زخرفة الدرع، إلي جانب الخط الكوفي، الذي استخدم أيضا في زخرفة واقي الرقبة الخلفي للخوذة.

- أن من بين الكتابات بضع كلمات أمكن قراءتها، مثل تلك التي ظهرت علي قمة الخوذة، ومنها اسم "مغظاي"، وهو كما أشرنا قد يكون الأمير الوزير "مغظاي الجمالي"، أحد أشهر أمراء عصر الناصر محمد بن قلاوون المتوفى عام ٧٤٢هـ، والذي رجحنا نسبة الزي إليه، خاصة لظهور كلمة "العافي" ضمن الكتابات الموجودة علي الخوذة، وهو كلمة نادر لم تظهر علي العمائر أو الفنون في العصر المملوكي، ويعزز وجود هذا الكلمة نسبة الخوذة إلي هذا الأمير، فقد أصابه خلال توليه الوزارة علة، كما ذكرنا، فقلعه أمر بكتابتها علي التحف المنسوبة إليه التماساً للشفاء من الله.

- أمكن تصحيح القراءة علي مقدمة الخوذة فقد ذكر المتحف أنها تحتوي علي اسم الصانع (عمل علي المحارب)، ولكن بعد إعادة قراءتها تبين أن النص عبارة عن الآية القرآنية الرابعة والثمانين من سورة الإسراء، وهي قول الله تعالي " قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَي شَاكِلَتِهِ".

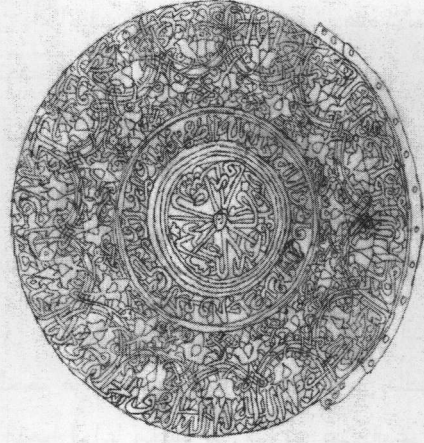
تامر مختار محمد

مدرس بقسم الآثار والحضارة- كلية الاداب - جامعة حلوان.

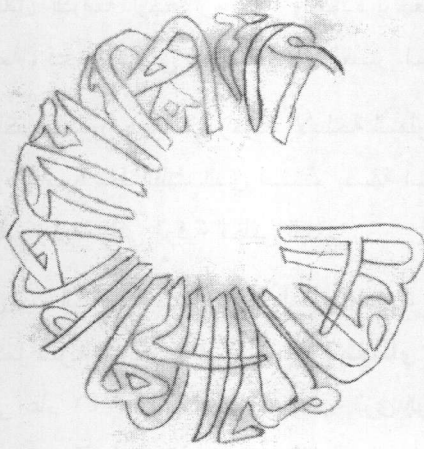
زي محارب من العصر المملوكي "درع وخوذة"
 صورة من خطاب متحف تاريخ الفنون في فيينا بالموافقة علي إرسال صور زي المحارب المحفوظة بالمتحف
 لدراستها من قبل الباحث.



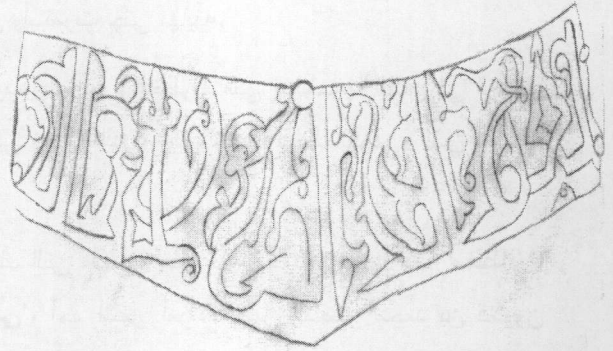
شكل (٢) تفاصيل للقرص المستدير بواجهة
 الدرع "عمل الباحث"



شكل (١) تفريغ للقرص المستدير بواجهة الدرع
 محفوظة بمتحف تاريخ الفنون في فيينا
 "عمل الباحث"



شكل (٤) تفريغ للكتابة المتوجة لقمة الخوذة
 المحفوظة بمتحف تاريخ الفنون في فيينا "عمل
 الباحث"



شكل (٣) تفريغ للواقى الخلفي للخوذة المحفوظة بمتحف
 تاريخ الفنون في فيينا "عمل الباحث"

زي محارب من العصر المملوكي "درع وخوذة"



لوحة (٢) ظهر الدرع، "ينشر لأول مرة"



لوحة (١) زي محارب من العصر المملوكي مكونة من خوذة ودرع، محفوظة بمتحف تاريخ الفنون في فيينا، تنشر لأول مرة.



لوحة (٤) تفصيل من ظهر الدرع عبارة عن لوح معدني مستعرض يعلو قرص الظهر، "ينشر لأول مرة"



لوحة (٣) تفصيل من الدرع عبارة عن لوح معدني مستعرض يعلو قرص الوجه، "ينشر لأول مرة"

زي محارب من العصر المملوكي "درع وخوذة"



لوحة (٦) خوذة مملوكية من نوع المواثمة ،
"تنشر لأول مرة"



لوحة (٥) القرص المستدير المزين لوسط ظهر الدرع، "ينشر
لاول مرة"



لوحة (٨) نقوش كتابية بقمة الخوذة العليا، "تنشر
لأول مرة"



لوحة (٧) نقوش كتابية علي واقية العين الخاصة بالخوذة
السابقة، "تنشر لأول مرة"



لوحة (١٠) نقوش كتابية بواقية الأنف، "تنشر
لاول مرة"



لوحة (٩) نقوش كتابية علي واقية الرقبة الخلفية، "تنشر
لاول مرة"

زي محارب من العصر المملوكي "درع وخوذة"



لوحة (١٢) خوذة (موائمة) تتسب للامير خير بك،
محفوظة بمتحف طويقابي سراي، "تتشر لأول مرة"
<https://histoireislamique.wordpress.com>

m



لوحة (١١) ترس من العصر المملوكي محفوظ
بإحدي المجموعات الخاصة، "ينشر لأول مرة".
<https://histoireislamique.wordpress.com>



لوحة (١٣) درع من العصر المملوكي محفوظ بالمتحف الوطني
بدمشق، "ينشر لأول مرة".

<https://histoireislamique.wordpress.com>